اليزيدية

ومنشأ نحلتهم

بقلم

الفقير اليه تعالى

احمد تيمور

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
دار الكتب
EGYPTIAN LIBRARY

القاهرة

١٣٤٧

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيهما : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

اليزيدية

ومنشأ نحلتهم

بقلم

الفقير اليه تعالى

أحمد تيمور

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
N LIBRARY

القاهرة

١٣٤٧

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيهما : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

﴿ حقوق الطبع محفوظة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين * والصلاة والسلام على سيّدنا محمد سيّد المرسلين *
وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ أمّا بعد ﴾ فهذه رسالة في اليزيديّة وبيان منشإ نحلتهم والكشف عن غامض أمرهم ، كنّا نشرناها موجزة في مجلّة المقتطف (١) ثمّ عنّ لنا تجريدها بعد تهذيبها وضمّ زيادات كثيرة اليها . وقد قسمناها الى فصول بدأناها بالتعريف بهم وبعقيدتهم وبيزيد الذى ينتسبون اليه ثمّ أتينا على أخبار شيخهم مُحْدِث طريقتهم ومكوّن طائفتهم وأخبار الزعماء من آله ذوي الأثر في هذه النحلة وما تقلّبت فيه من الأطوار . وعرض لنا أثناء التكلّم عنهم تحقيق أمر الزاوية العدويّة بالقرافة الصغرى المدفون فيها أحدهم ، فاضطررنا الى التعريج بالقارىء عليها وبَعُدْنا به قليلاً عن المقصد ، وعُذرنا في ذلك أنّنا لم نر من تقصّى أمرها مثل ما تقصّيناه مع مالهم من الصلة بها . وكنّا عثرنا على أخبار منتثرة لثُلّة من عِترتهم لا ينتحلون نحلتهم ولا يمتّون اليهم إلاّ بواشجة القربى فرأينا من تمام الفائدة أن لا نخلي هذه الرسالة من ملخّص تراجمهم . ثمّ أخذنا فيما قصدناه من بيان أصل هذه العقيدة وبدء الانحراف فيها وما طرأ عليها بعد ذلك من التبديل والزيادة والنقص ومنشإ اعتقاد القوم في يزيد وفي الشيطان مستمدّين من الله تعالى التوفيق والتسديد .

فصل

في التعريف بهم

اليزيدية طائفة من الأكراد يسكن أكثرهم في جهات الموصل وولاية أرزان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب . وهم من أغرب طوائف المبتدعة بدعة يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ، ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ بأسرارهم مبالغة شديدة طوت أمرهم عن الناس زمناً ثم أتيح لبعض من خالطهم من روّاد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم ولكن وقع في عباراتهم من الاختلاف ما لا بدّ من وقوعه في كل أمر يحاط بالخفاء والكتمان .

وأوّل من تصدّى للبحث عن أمرهم من أصحاب المجلات العربية فيما نعلم صاحب مجلة الجنان (١) التي كانت تصدر في بيروت ثم نشرت مجلة المقتطف (٢) فصلاً ملخصاً مما حققه عنهم أحد روّاد الافرنج بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً ثم نشرت مجلة الضياء (٣) فصلا عنهم لا يخرج في جوهره عما في المقتطف وان باينه في بعض المواضع بشيء من الاختلاف والزيادة والنقصان ثم نشرت مجلة المشرق (٤) فصلا آخر كان أوفى مما تقدمه في استقصاء أخبارهم . وعثر أحد الفضلاء في الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم (الجلوة) و (مصحف رش) فنشرهما بنصيهما في احدى المجلات الأميركية مع الترجمة

(١) ج ٧ ص ٥٢٥

(٢) ج ١٣ ص ٢٩٣

(٣) ج ١ ص ٧٠٥

(٤) ج ٢ ص ٣٢ و ١٠٦ و ٣٠٩ و ٢٩٥ و ٥٤٧ و ٦٥١ و ٧٣١ و ٨٢٠

الانكليزية . وعثر أحد علماء المشرقيات بالنمسة على نسخة منهما بالعربية والكردية فطبعهما بالنصين والترجمة النمسية فى ڤينة فازداد أمرهم بطبعهما جلاء ووضوحاً وأميط اللثام عما تضارب فيهم من الأقوال فى الفصول المنشورة فى المجلات المتقدم ذكرها .

غير أن القول فى منشإ هذه النحلة وأول مبتدع لها وما تقلبت فيه بعد ذلك من الاطوار حتى وصلت الى ماهي عليه الآن لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما أوردوه عنها فى ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنه الباحث بغناء وهو ماقصدنا البحث فيه في هذه الرسالة بعد أن نلخص من عقائدهم ما يتوقف عليه اطّراد البحث ويمثل للقاريء صورة مجملة منهم .

فصل

في ملخّص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا أحدهما كتاب الجلوة [١] وهو يتضمن ما خاطب به الباري تعالى عباده والمقصود بهم اليزيدية وكلاماً في قدمه تعالى وبقائه وقدرته ووعده ووعيده وذكر القول بتناسخ الأرواح وفيه أن الكتب التي بأيدي الخارجين أي أهل الأديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم .

والثاني مصحف رش أي الكتاب الأسود وفيه حديث خلق السماوات والأرض وما فيها من بحار وجبال وأشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوّاء وارسال الشيخ عادي بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (أي الشيطان) الى الأرض واقامته ملوكا لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيه أن كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوّاء وأما شيث ونوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الأوّلون فمن نسل آدم فقط وأصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وأن طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة كان ينزل في كلّ ألف سنة منها إله من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذي ينتسبون اليه . أما رئيسهم وأوّلهم فالشيطان المعبّر عنه عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الأعظم الواحد القهّار

(١) سيأتي في ترجمة شيخهم الشيخ حسن انه صنف كتابا اسمه الجلوة لأرباب الخلوة ولا ريب في انه غير هذا الكتاب الذي بأيدينا فان الرجل كان على رقة دينه ذا عقل ودهاء وعلم وادب لا ينحط قلمه الى مثل هذا السخف .

الضال لما يريد .

وفي هذا الكتاب أيضاً شرائعهم وما أحلّ لهم وما حرّم عليهم في الزواج وغيره وشرح أمر الطواف بسناجقهم (أي أعلامهم) في البلدان والقرى لجمع الصدقات وزيارتهم لقبر الشيخ عادي وما يعملونه في عيد أوّل السنة من قطف النوّر الأحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور .

وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط ما فيه . وتمتاز نسخة المتحف بالنصّ الكرديّ فيها . وتختلف عنها الأميركية ببعض زيادات وتقديم وتأخير في العبارات وفيها ملحق فيه ما ليس في الكتابين من شرائعهم وأحوالهم وكرامات أوليائهم وتفصيل مراتب أمرائهم وشيوخهم وأغنيّة مختلّة الوزن والعبارة في مدح الشيخ عادي وأخرى مثلها تتلى في صلاتهم وصورة المحضر الذي كتبوه لمّا أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم ، وقد ذكروا فيه السبب الدينيّ المانع لهم من مخالطة غيرهم .

هذا ملخّص ما في الكتابين اقتصرنا فيه على ما تدعو اليه الحاجة من خبر نحلتهم ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع اليهما وهما بخزانتنا في فنّ العقائد (رقم ٤١٨ و ٥٠٥) . وقد عثرنا على نبذة ناقصة الآخر ملحقة بنسخة عندنا من كتاب حسن التصرّف لعلاء الدين القونويّ شرح التعرّف لمذهب أهل التصوّف للكلاباذيّ فيها شيء عن هذه العقيدة رأينا أن ننقله هنا لأنا لم نقف لمؤلفينا على كلام عن هذه النحلة سوى شذرات يذكرونها بالمناسبة في بعض التراجم قليلة الفائدة . وهذا ما جاء بهذه النبذة ببعض تلخيص :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين ربّ يسرّ. اللهمّ ألهمنا الصواب وفصل الخطاب وجنّبنا العيّ والغيّ والارتياب وهب لنا من لدنك رحمة انك [أنت] الوهاب . أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحكمهم وحكم

الأموال الكائنة بأيديهم * اعلم أنهم متفقون على أباطيل من اعتقادهم وعقائد وأقاويل كلها مما يوجب الكفر والضلال . منها أنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون أنه كذب وأن مثل هذيانات وأقوال الشيخ فخر [1] هي المعتمد عليها والتي يجب أن يُتمسك بها ولهذا يعادون علماء الدين ويبغضونهم بل لو ظفروا بهم يقتلونهم أشنع قتل، كما وقع غير مرّة . وان وقعت الكتب الاسلامية في أيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزّقونها ويتغوّطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا سترة له . ومنها أنهم يحلّون الزنا اذا جرى بالتراضي. أخبرني من أثق بخبره أنه رأى ذلك مسطوراً في كتاب لهم ينسبونه الى الشيخ عديّ . ومنها أنهم يفضّلون الشيخ عدياً على الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمراتب بل يقولون إنه لا مناسبة بينهما . ومنها أنهم يصفون الله تعالى بصفات الأجسام كالأكل والشرب و القيام والقعود وغيرها . ومنها أنهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله والشيخ عديّ تشتمل على تذلل الله تعالى ورسوله بين يدي الشيخ عديّ وعلى تحقير شأنهما والاستهزاء بهما وتضجّره من تردّدهما اليه واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما وغير ذلك مما يجب تنزيه شأن الله تعالى ورسوله عنه . ومنها أنهم يمكّنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلّون ذلك ويعتقدونه . ومنها أنهم يصرّحون بأن لا فائدة في الصلاة ولا بأس في تركها وهي ليست واجبة بل الواجب طهارة القلب وصفاؤه . ومنها أنهم يعتقدون أن اللالش [2] أفضل من الكعبة وأن لا فائدة من زيارتها لمن يقدر على زيارة اللالش . ومنها أنهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف بزعمهم وخصوصاً لمقام الشيخ عدي فانهم يدّعون أن من لا يسجد له كافر . ومعلوم أن هذا السجود كالسجود للصنم والشمس

(١) لعله فخر الدين المذكور في كتابهم الأسود المسمى (بمصحف رش) واسمه نورائيل المخلوق يوم السبت وهو بزعمهم خالق الانسان والحيوان والطير والوحوش

(٢) لالش قرية بالهكارية سكنها الشيخ عدي والظاهر ان المراد بها في هذه النبذة معبد بها

ومنها أنهم يعتقدون أن الشيخ عدياً يجعل أمته يوم القيامة في طبق ويحمله على رأسه ويذهب بهم الى الجنة . فهذه بعض أقوالهم وأفعالهم القبيحة وقد تواترت عند من خالطهم وخبر أحوالهم ثم إني سمعت غير واحد ممن كشف عن مضمرات صدورهم الخبيثة يقول إنهم ثلاث فرق : إحداها غلاتهم الذين قالوا إن الشيخ عدي ابن مسافر هو الله نفسه. والثانية الذين يقولون إنه ساهم الله تعالى في الآلهية فحكم السماء بيد الله تعالى وحكم الأرض بيد الشيخ عدي . والثالثة الذين يقولون إنه ليس الله تعالى ولا شريكا له ولكنه عند الله تعالى بمنزلة الوزير الكبير لا يصدر من الله تعالى أمر من الامور إلا برأيه ومشورته . والظاهر أن مذهبهم يؤول الى الحلول وهم يوالون النصارى ويصوّبون بعض عقائدهم . انتهى ببعض تلخيص وبأكثر لفظه .

فصل

في يزيد الذي ينتسبون اليه

جاء في كتب الملل والنحل ذكرٌ لفرقة من الاباضيّة يُدْعَوْن باليزيدية وهم أتباع رجل اسمه يزيد بن أبي أُنيْسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى أرض فارس ، وكان من زعمه أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به الشريعة الاسلامية ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن الكريم وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط فذهب بعض الأفاضل الذين بحثوا في أمر اليزيدية الى أنهم من بقايا هذه الفرقة . والظاهر أن الحامل لهم على هذا الرأي اتحاد الفرقتين في النسبة وسوء المعتقد . والذي ظهر لنا بعد التحقيق أن لاعلاقة بين يزيدية اليوم وتلك الفرقة وأنّ أتباع ابن أبي انيسة قد لحقوا بغيرهم من الفرق التي بادت وبادت معها آراؤها . أما يزيدية اليوم فنسبتهم الى يزيد بن معاوية على التحقيق كما يقولون ولكن لا على ما لفقوه من المزاعم بل لما سنورده عليك بعد .

وزعمهم هم في يزيد على ما جاء في كتابهم الاسود (مصحف رش) أن معاوية أباه كان خادماً لنبي الاسماعيليين أي نبيّنا صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه يوماً فجرحه وأكبّ على الدم فلحسه بلسانه لئلا يسيل على الارض فقال له النبي أخطأت وستكون ذرّيتك أعداء لأمّتي فعاهده على ان لا يتزوج أبدا ولم يكن له بنون من قبل ولكن الله سلط عليه عقارب لدغته في وجهه وجزم الاطباء بموته إن لم يتزوج فتزوج امرأة في الثمانين ليأمن حملها فلما أصبحت اذا هي بنت

خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد أحد آلهتهم السبعة .

وذهب بعض الباحثين الى أنهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يَزْد وسكنوا داسن فقيل لهم اليَزْدِيّون ثم حرفته العامة وقالت يزيديون وهو زعم باطل لا يقوم عليه دليل .

فصل

في الشيخ عادي

للشيخ عادي مقام غير منكور عند اليزيدية وقبره اليوم كعبتهم التي يحجون اليها وشيخهم الأعظم سادن مقامه ولهم فيه مزاعم في مصحف رش منها أن الله تعالى أرسله من أرض الشام الى لالش ومفهوم العبارة أن ذلك كان قبل خلق آدم عليه السلام وهو من الخلط الذي لا تخلو منه عباراتهم .

وفيه أنهم عند ارسال السناجق (الأعلام) الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر ونقر على الدفوف والطبول ويعجنون من ترابه بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع السناجق فتفرق في القرى للتبرك بها . وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمه العروسان . فان لم يوجد اكتفيا بسف شيء من تراب الشيخ عادي . وفي الزوائد الملحقة بالنسخة الأميركية أن من يموت منهم يجب أن يحضره شيخ من شيوخهم الذين في طبقة (الكوجك) ليضع في فيه شيئاً من هذا التراب قبل دفنه ، وفيها أيضاً تفصيل مناسكهم عند زيارته وانها مفضلة عندهم على حج البيت الحرام مع التصريح بانه مبتدع ملتهم ومرشدهم الأول الى طريقها .

وفي النسخة الأميركية أيضاً نبذة عن الشيخ عادي وردت قبل كتاب الجلوة كمقدمة له نثبتها هنا دليلا على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الأزمان المتفاوتة ونموذجاً لما في كتابهم من الركاكة وسوء التعبير وهذا نصها « في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاج وشيخ عبد القادر الكيلاني

في ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عادى من جبال الحكارية [1] أصله من أطراف حلب أو من بعلبك جاء وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا إنه من أهل حرّان ونسبته الى مروان بن الحكم فانه شرف الدين أبو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاته سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار الآن قرب قرية باعدزى [2] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادي المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى حسن البصري » انتهى

ولا بدّ لنا قبل التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمه فانّه ورد في كتابهم مرسوماً بزيادة ألف بعد العين كما رسمناه متابعة لهم وبه ورد أيضاً في مجلاّت الجنان والمقتطف والمشرق . وورد في مقالة مجلة الضياء بلفظ الشيخ الهادي وجاء بها عنه ما نصه « الذي في الأصل السرياني الشيخ ادي وكذلك هو في النقل الفرنسويّ ولعل لفظه الصحيح عديّ الاّ أننا رأينا بولياي رواه بزيادة هاء في أوّله كما أثبتناه فيما نقلناه عنه قريباً وهو الذي اعتمدناه في سائر المقالة توحيداً للتسمية » انتهى . قلنا والصواب انه (عديّ) كما ظنّه في تصحيح لفظه

وفي مقالة مجلة المشرق ذكر لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح في آخرها بأنّ لفظ عادي محوّل عن آدي وخلاصتها أن مزار الشيخ كان في الأصل ديراً للنساطرة بني على اسم القدّيس أدّى أو آدي ثم تفرّق رهبانه باغواء طاووس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر في ابّان ذلك الشيخ عادي بدعوته وأنبأ تلاميذه بأمر الرهبان قبل وقوعه وأوصاهم بدفنه في مكان المذبح الأعظم بالبيعة بعد هدمه

---

(١) اي الهكارية .

(٢) اوردها ياقوت في معجم البلدان بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها من قرى الموصل.

فعملوا بوصيته وصاروا يحجّون الى قبره كل سنة وحوّلوا اسم آدي الى عادي انتهى

قلنا والقول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتي ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيه أو فيما ورد عن أصل المزار أيضاً فانه ختم عبارته بقوله : (فتأمل) .

والصواب أنه الشيخ عديّ بن مسافر أحد صوفية زمنه ومعتقديهم ترجمه ابن خلّكان في وَفَيات الأعيان فقال عنه « الشيخ عديّ بن مسافر بن اسماعيل ابن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا أملى نسبه بعضُ ذوي قرابته الهكّاريّ مسكناً العبدالصالح المشهور الذي تنسب اليه الطائفة العدوية » انتهى . وذكر ابن الورديّ نسبته في تاريخه كما ذكرها ابن خلّكان وزاد فيها بعد مروان الأخير « ابن الحكم ابن مروان الامويّ » وفي هذه الزيادة نظر وكذلك فعل السخاويّ في تحفة الاحباب [1] في سياقه لنسب قريبه زين الدين يوسف المدفون بمصر بالقرافة الصغرى غير أنه ذكر بعد مروان الأخير « ابن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس » ثمّ ساق نسبه الى عدنان وهذا هو المعروف في نسب مروان ابن الحكم فانّ جدّه أبو العاص لا مروان . وفي مسالك الابصار لابن فضل الله العمريّ ترجمة للشيخ عديّ جاء فيها أنّه « من ولد معاوية بن أبي سفيان » وهو قول لم نره لغيره ، والظاهر أنه أراد من ولد مروان بن الحكم فسبق قلمه الى معاوية والله أعلم

ثم قال ابن خلّكان عن الشيخ عديّ « سار ذكره في الآفاق وتبعه خلق كثير وجاوز حسنُ اعتقادهم فيه الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها . وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ

(١) تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات للعلامة محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ طبع على حاشية الجزء الرابع من نفح الطيب بالمطبعة الازهرية بالقاهرة سنة ٢.

والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنبجي[١] وحمّاد الدبّاس وأبي النجيب عبد القاهر السُهروردي[٢] وعبد القادر الجيلي وأبي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكّارية من أعمال الموصل وبنى له هناك زواية ومال اليه أهل تلك النواحي كلها ميلا لم يسمع لأرباب الزوايا مثله . وكان مولده في قرية يقال لها بيت فار[٣] من أعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيه يزار الى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلده بالهكّارية ودفن بزاويته رحمه الله تعالى . وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدته الى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة . وذكره أبو البركات ابن المستوفي في تاريخ إربل وعدّه من جملة الواردين على إربل . وكان مظفّر الدين صاحب إربل رحمه الله تعالى يقول رأيت الشيخ عديّ بن مسافر وأنا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة أسمر اللون وكان يحكي عنه صلاحاً كثيراً وعاش الشيخ عديّ تسعين سنة رحمه الله تعالى » انتهى ما ذكره ابن خلكان بنصه

وترجمه ابن الفرات في تاريخه والمقريزيّ في خططه في كلامه على الزاوية العدويّة بما لا يخرج عما ذكره ابن خلكان . وترجمه الشيخ عبد الوهاب الشعرانيّ في طبقاته الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفي طبقاته الوسطى فأثنى عليه في كلتيهما ثناء كثيراً وذكر أنه أقام في أوّل أمره زماناً في المغارات والجبال والصحاري مجرّداً سائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات قال وهو أول من قُصد

(١) و (٢) في نسخة وفيات الاعيان المطبوعة ببولاق المنجي وعبد القاهر الشهرزوري وكلاهما تحريف

(٣) في نسخة وفيات الاعيان البولاقية بيت قار بالقاف وهو تحريف صوابه بالفا. وقد نص البقاعي على ذلك في عنوان العنوان في ترجمة الخطيب العدوي أحمد بن محمود بن عبد السلام من ذرية ابي البركات ابن اخي الشيخ عدي بن مسافر فقال عنه . البقاعي البيتفاري بفتح الموحدة ثم تحتانية ثم فوقانية وفا وقبل يا النسبة را. نسبة الى بيت فار من البقاع .

بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق وقصده الناس من سائر الاقطار. ثم نقل جملا من مأثور أقواله في التصوّف وذكر له كرامات وخوارق الى أن قال : سكن رضي الله تعالى عنه جبل الهكّار واستوطن بالس الى أن مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويته المنسوبة اليه وقبره بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وأبو الفداء واليافعيّ انّ وفاته كانت سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومثله في تاريخ ابن الورديّ الا أنه نقل أيضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين اللخميّ انها كانت سنة ثمان وخمسين وان أصله من حوران وأطنب ابن الورديّ فيه وفي وصف زهده وتقشّفه وكراماته في كلام نقل أغلبه الشعرانيّ في طبقاته . وفي مختصر تاريخ الاسلام للذهبيّ في حوادث سنة ٥٥٧ ما نصه : « وفيها مات شيخ العارفين عديّ بن مسافر الهكاريّ الزاهد وقد قارب التسعين » وترجمه ابن الفرات في وفيات سنة ٥٥٧ الا أنه قال أيضاً عن وفاته « وقيل كانت وفاته في سنة خمس وخمسين » ومثله في مسالك الأبصار لابن فضل الله ونصّ عبارته « وتوفي سنة سبع وقيل سنة خمس وخمسين وخمسمائة »

وقول الشيخ الشعراني « واستوطن بالس الى ان مات بها » تحريف في نسخة الطبقات الكبرى لانّ بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة على ما في معجم ياقوت فأين هي من بلدة الشيخ عديّ التي سكنها بالهكارية . والذي في طبقاته الوسطى (لاكش) بلام فألف وكاف وكلاهما فيما ظهر لنا تحريف عن لالش وهي الواردة في النصين العربيّ والكرديّ من (مصحف رش) الا انها وردت في بعض المواضع من النصّ الكرديّ بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبه وردت ايضاً في مقالة مجلة المقتطف عن اليزيدية والصواب أنها بلامين وبهما وردت في نسخة تحفة الأحباب للسخاويّ وقد ذكرها ياقوت في معجمه بلفظ (ليلش) وقال عنها قرية في الاحف من اعمال شرقيّ الموصل منها الشيخ عديّ بن مسافر الشافعيّ شيخ الاكراد وامامهم وولده

وفي شذرات الذهب لابن العماد ترجمة « للشيخ عدي » أثنى عليه فيها ثناء من ترجمه قبله وذكر تجاوز أصحابه الحدّ في اعتقادهم به حتى زعموا أنه اذا ذكر على الأسد وقف أو على البحر سكن . والى ذلك أشار الشيخ الصدّيق بن محمد المقري المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة بقوله :

بجاه عدي ذلك ابن مسافر　　به تسكن الأمواج في لجج البحر
وان قلته لليث لم يخط خطوة　　ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

ووقفنا في جزء قديم من تاريخ عندنا لم نعلم اسمه ولا اسم مؤلفه على حادثة وقعت سنة ٦٥٢ لأصحاب الشيخ عديّ نبش فيها قبره وأحرقت عظامه ، وهذا نصّ العبارة « في هذه السنة جرت بين أصحاب الشيخ عديّ بن مسافر وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عديّ ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة فأطلقوا ألسنتهم فيه فأرسل طائفة من عسكره اليهم فقاتلوهم قتالا شديداً فانهزمت الأكراد العدوية وقتل منهم جماعة كثيرة وأسروا منهم جماعة فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش الشيخ عدياً من ضريحه وأحرق عظامه » .

هذا ما ظفرنا به من ترجمته وهو عندنا أصل الطريقة اليزيدية ومكوّن هذه الطائفة على ما أدّانا اليه البحث كما سيأتي تفصيله .

فصل

في الشيخ حسن

ذكر اسمه في الكتاب الأسود (مصحف رش) على أنه ثاني الآلهة السبعة عندهم ويسمى أيضاً دردائيل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري وأنّ له قبّة في القباب التي حول قبر الشيخ عديّ ومن نسله شيخهم الأعظم . وقد بحثنا في كتب التراجم عمن اشتهر بالحسن البصريّ غير التابعيّ المشهور فلم نعثر إلا على واحد ولكن ليست له صلة بهم ترجمه ابن تغري برديّ في المنهل الصافي فقال « جعفر بن عليّ بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمّر شرف الدين الموصليّ المقري المعروف بالحسن البصريّ . مولده بالموصل في سنة أربع وستمائة وكان شيخاً فاضلا عارفا حافظاً للأخبار والشعر والأدب ذكره الحافظ علم الدين البرزاليّ وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الزبيديّ وعصر من ابن الجميزيّ وبالثغر من ابن رواح وتوفي بدمشق سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة رحمه الله . قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصريّ التابعيّ المشهور المتوفى سنة عشر ومائة » انتهى .

وأما الشيخ حسن المذكور في كتاب اليزيديّة فلم ينعته أحد غيرهم بالبصريّ وهو من آل عديّ بن مسافر وأحد خلفائه عليهم وفي زمنه دبّ الفساد والزيغ فيهم وله ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبه « الحسن بن عديّ ابن أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقّب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد وجدّه أبو البركات هو أخو الشيخ عديّ » وقد تقدّم في نسب

الشيخ عديّ أنه عديّ بن مسافر بن اسماعيل [١] الخ فالصواب أن يقال في نسب الشيخ حسن « وجدّه أبو البركات ابن أخي الشيخ عديّ » أو « وجده صخر أخو الشيخ عديّ » أي جدّه الأعلى . وفي تحفة الأحباب للسخاويّ في ترجمة الشيخ عديّ « وظهرت له مناقب ومآثر هناك الى أن كثر أصحابه وأولاد أخيه الشيخ العارف صخر بن مسافر فتوفي الشيخ عديّ هناك سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتخلّف بعده أخوه صخر وتفرّق أولاده في البلاد وأقبل اليهم العباد فنزل منهم بالموصل الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي المفاخر عديّ بن أبي البركات بن صخر أخي عديّ بن مسافر الملقب بتاج العارفين أبي محمد شيخ الأكراد وجدّه هو أخو عديّ ابن مسافر » .

ثمّ قال ابن شاكر عن الشيخ حسن « وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوّف وله أتباع ومريدون يبالغون فيه قال الشيخ شمس الدين الذهبيّ بينه وبين الشيخ عديّ من الفَرْق كما بين القَدَم والفرْق وقد بلغ من تعظيم العدويّة له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رقّ قلبه وبكى وغشي عليه فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ثمّ أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحّط في دمه فقال ماهذا فقالوا له أيش هذا الكلب حتى يبكي سيّدنا الشيخ فسكت حفظاً لدسته وحرمته . وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر في قلعة الموصل خوفاً من الأكراد لأنهم كانوا يشنّون الغارات على بلاده فخشي أن يأمرهم بأدنى اشارة فيخرّبوا بلاد الموصل . وفي الأكراد طوائف الى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بدّ أن يرجع وقد تجمّعت

(١) هذا ماأجمع عليه المؤرخون في نسبه وجاء في مادة (هكر) من شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي انه « عدى بن صخر بن مسافر » وعليه يصح ماقاله ابن شاكر غير انه قول تفرد به الزبيدي مخالف للنصوص العديدة التي اطلعنا عليها .

عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه وما يعتقدون أنه قتل . وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة وله من العمر ثلاث وخمسون سنة » .

وترجمه أيضاً ابن العماد الحنبليّ في شذرات الذهب وساق نسبه كما تقدّم ونعته بشيخ العدوية الأكراد وذكر عنه ما ذكره ابن شاكر ثم أورد عبارة للذهبي عدّد له ولجماعته فيها منكرات وختمها بما معناه « ان كان هـذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار » .

وترجمه ابن طولون الحنفي الصالحيّ في ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر استطراداً في ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدويّ فذكر ما ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات وزاد في آخر الترجمة أنه اختلى ستّ سنوات صنّف فيها كتاب الجلوة لأرباب الخلوة وأنشد من شعره :

وصرت فرداً بلا ثانٍ أقوم به   وأصبح الـكلّ والأكوان تفخر بي
وكلّ معناي معناها وصورتها   كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبي

والظاهر أنه أقيم خليفة عليهم بعد أبيه عديّ بن أبي البركات. أما أول خليفة عليهم بعد الشيخ عديّ الـكبير فالذي يعلم من عبارة السخاويّ في تحفة الأحباب المتقدّم ذكرها أنه أخوه صخر واذا صحّ هـذا فالظاهر أنه أقيم عليهم وهو في بلدتهم بيت فار بالبقاع بالشام فانا لم نقف على أنه هاجر الى أخيه بلالش . والذي صرّح به اللخميّ في بهجة الأسرار في مناقب السيد عبد القادر الجيليّ رضي الله عنه أن أوّل من أقيم خليفة على هـذه الطائفة بعد الشيخ عديّ ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر وقد ذكر السخاوي هجرته اليه بقوله بعد العبارة المتقدمة « وقد نزل الشيخ أبو البركات بن صخر أبو هذه الذرّية عند عمه عديّ ابن مسافر بالمـكان المعروف بلالش في جبل الهـكّارية » . ويستخلص من ترجمته

في بهجة الاسرار [١] أنه هاجر الى عمه الشيخ عديّ من بيت فار من ارض بقاع العزيز الى جبل هكّار وصحبه وخلفه بعد وفاته بزاويته بلالش وكان الشيخ عدي في حياته يثني عليه ويقدّمه ويقول فيه « ابو البركات ممن دُعي في الأزل وكان من السابقين الى الحضرة » ويقول فيه ايضاً « ابو البركات يخلفني » وسكن ابو البركات بلالش الى ان مات مسناً ودفن عند عمه وقبره ظاهر يزار وتخرّج عليه ولده عديّ بن ابي البركات وكان مثله في المناقب والفضائل انتهى . وسائر ما في الترجمة مناقب وكرامات وكلمات مأثورة عنه في التصوّف .

١ ترجمه في هذا الكتاب فيمن استطرد الى تراجمهم من مشايخ الصوفية

فصل

في شرف الدين

لم يذكره اليزيدية في كتابهم كما ذكروا الشيخ حسناً ولم نقف له على ترجمة في كتب التراجم ولم نعلم من خبره إلا ما رواه ابن العبري في تاريخ مختصر الدول فقد ذكره عرضاً باسم شرف الدين محمد ابن الشيخ عدي في حوادث سنة ٦٥٥ فقال « وفيها سيّر السلطان عز الدين [1] رسولاً الى خدمة هولاكو شاكياً على بايجو [2] نوين انه ازاحه عن ملكه . فأمر هولاكو ان يتقاسما الممالك هو واخوه ركن الدين . فظهر عز الدين فأتى الى قونية ومضى ركن الدين مع بايجونوين الى مخيّمه . ولخوف عز الدين من بايجونوين وجّه مملوكه الى نواحي ملطية وخَرْتَبِرْت [3] ليستخدم له عسكرا من الأكراد والتركمان والعرب . فوصل هذا المملوك وسيّر في طلب شرف الدين احمد بن بلاس من بلد الهكّار وشرف الدين محمد بن الشيخ عديّ من بلد الموصل الكرديّين فأتياه . فأقطع ابن بلاس ملطية وابن الشيخ عديّ خرتبرت » ثم قال بعد ان ذكر مقتل ابن بلاس « وأما ابن الشيخ عديّ فرحل من خرتبرت ليتصل بالسلطان عز الدين فأدركه انكورك نوين وقتله ومن معه » انتهى . وهو كل ما علمناه من خبره . والذي نرجّحه أنه

(١) هو عز الدين كيكاوس بن غياث الدين من الملوك السلجوقية ببلاد الروم وكان مقرهم قونية واخوه ركن الدين اسمه قليج ارسلان . وانظر خبر دولتهم في تاريخ ابن خلدون ج ٥ طبع بولاق .

(٢) هو من امراء المغل وقوادهم وقد ورد اسمه في تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ١٧٢ — ١٧٤ بلفظ (بيكو) وورد في ص ٥٤٢ من هذا الجزء بالجيم بدل الكاف ولكنه حرف بلفظ (بنجو) ويقال انه توانى لما طلبه هولاكو السير معه الى فتح بغداد فاتهمه بالغدر والاستبداد ، فلما انقضى امر بغداد بعث اليه من سقاه السم فمات .

(٣) هي المعروفة الآن بخربوت .

ابن طاغيتهم الشيخ حسن المتقدّم ذكره قبله لأن الشيخ عديًا لم يعقب وكان لحسن هذا ولد بهذا الاسم وهذا اللقب سيرد في نسب زين الدين الآتي بعده فانه (زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن) الخ على ما نقش على باب زاويته وذكره السخاوي في تحفة الأحباب ولا يبعد أن يكون شرف الدين المذكور ولى الزعامة على هذه الطائفة بعد أبيه بالموصل والله أعلم .

فصل

في زين الدين وعز الدين

هما رجلان كبيران من آل عديّ بن مسافر لم تذكرهما اليزيدية في كتابيهم الجلوة والكتاب الاسود كما ذكروا الشيخ حسناً . أما زين الدين فهو كما في تحفة الاحباب للسخاويّ في الكلام على تربته بالقرافة الصغرى الشيخ الصالح العارف المحقّق الربانيّ شيخ مشايخ الاسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد بن حسن بن عديّ بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن الحسن بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس . ثم ساق نسبه الى معدّ بن عدنان الى أن قال: القرشيّ الأمويّ نزيل القاهرة . والذي يفيده سياق هذا النسب أنه حفيد الشيخ حسن المتقدّم ذكره غير أن نعت السخاويّ له بتلك النعوت يدلّ على أنه كان في نظره مرضيّ الطريقة بعيداً مما كان منطوياً عليه جدّه حسن من المنكرات . ثمّ ذكر أنه توفي سنة ٦٩٧ وأن القبّة التي على ضريحه وافق الفراغ من عمارتها في ربيع الأوّل سنة ٧١٥ (١) وانه قدم الى الشام فأكرم وأنعم عليه بامرة ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسوّمة والجواري والخدم والملابس وعمل الأسمطة الفاخرة ثم خاف على نفسه فترك ولده عزّ الدين هناك ودخل الى القاهرة وأقام بها فاكرم بها .

وترجمه المقريزيّ في خططه في كلامه على الزاوية العدويّة وابن فضل الله العمريّ في مسالك الأبصار استطراداً في ترجمة الشيخ عديّ بن مسافر وذكرا أنّه ابن أخيه (٢) وخلاصة ما قالاه عنه أنه وفد من الموصل الى الشام فأكرم وأنعم

(١) الظاهر ان هذا تحريف بالنسخة فان المنقوش على باب هذه القبة سنة ٧٢٥ كما سيأتي

(٢) في هذا تساهل لان بينه وبين جده صخر أخي الشيخ عدي اربعة آباء ولكن من كان من ذرية شخص فهو ابنه .

عليه بامرة كبيرة ثمّ تركها وانقطع في قرية تعرف ببيت فار (١) وانغمس في النعم والملاذ وعاش عيشة الملوك وحُكي انّ بعض نساء الطائفة القيمُريّة (٢) كانت مغراة به مطنبة في تعظيمه متغالية في الاعتقاد بصلاحه وأنفقت عليه أموالا جليلة وكانت غير مصغية الى من يعذلها فيه فاحتال أخصّاؤها عليها بأن حملوها في قفّة وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك الا ضلالا وقالت انما يتدلّل الشيخ على ربه وضاعفت له الانفاق. قال ابن فضل الله « وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبيّ الكاتب رحمه الله قال بُعثت مع الامير الكبير علم الدين سِنْجَر الدوادار ليحلّفه في أوّل الدولة الأشرفيّة (٣) فأتيناه وهو في قريته مثل الملك في قلعته للتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الاطلس وآنية الذهب والفضّة والغضَار الصيني وأشياء تفوت العدّ الى غير ذلك من الاشربة المختلفة الالوان والاطعمة المنوّعة. فلما دخلنا عليه لم يحتفل بنا وأتاه الامير علم الدين فقبّل يده وهو جالس لم يقم له فبقي الدوادار قائماً قدّامه يحدّثه وزين الدين يسأله لا هو يجلس ولا زين الدين يقول اجلس، ثم أمره بالجلوس فجلس على ركبتيه متأدّباً بين يديه ثمّ لمّا حلّفناه أنعم علينا بجملة طائلة تقارب خمسة عشر الف درهم. قلت وقد كان تخلف منهم الشيخ عزّ الدين أميران وأُمّر فبقي مدّة أميراً بدمشق ثمّ بصفد ثم بدمشق ثمّ ترك الامرة وآثر الانقطاع وأقام بالمِزّة وكانت الاكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها تقرّباً اليه ومنهم على ما حُكي من كان يجلس بين

(١) هي قريتهم ببقاع العزيز قبل انتقالهم الى لالش بجبل هكار

(٢) القيمرية وعبر عنهم ابن فضل الله في مسالك الابصار بالقيامرة جماعة من اعيان امراء الاكراد منسوبون الى قيمر بفتح القاف وسكون الياء وضم الميم وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ولاحدهم المدرسة القيمرية بدمشق وحي معروف بهذه النسبة وتسمى هذه المدرسة اليوم بمدرسة (القطاط) ويلفظها عامة دمشق (القطاط) بفتح الاول والاشباع .

(٣) هي دولة الاشرف خليل بن قلاوون

يديه . ثم انه أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف الأكراد من كلّ بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب ووعد رجالا ممّن تبعه بالنيابات الكبار ونزل بأرض اللجون وأتى السلطان خبرهم وانّهم على هذا لم يؤذوا أحداً في نفس ولا مال وانما يبيعون أموالهم بالرخص ويشترون الخيل والسلاح بالغالي فأمر تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم وقصّ آثارهم وأمسك السلطان من كان بالزاوية العدويّة بالقرافة » الى أن قال « واختلفت الاخبار فقيل إنّهم يريدون سلطنة مصر وقيل بل كانوا يريدون ملك اليمن. وقلق السلطان لامرهم وأهمّه الى أن أمسك تنكز نائب الشام عز الدين المذكور وأودع الاعتقال حتى مات وفرّق الاكراد ولو لم يتدارك لأوشك أن تكون لهم نوبة » انتهى . وفي خطط المقريزيّ أن إمساك عز الدين كان مدّة الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال السخاوي سنة ٧٣٣

قلنا والذي ذكراه عن الشيخ زين الدين وما كان منطوياً عليه من المنكرات يخالف ما نعته به السخاوي من النعوت الجليلة وكذلك حادثته مع الشهاب محمود وعلم الدين سِنْجَر وحادثة افتتان احدى القيمريّات به ذكر السخاويّ أنهما وقعتا مع ولده عز الدين . واختلفت أقوالهم في عز الدين فقال المقريزي وابن فضل الله « وكان تخلف منهم الشيخ عزّ الدين أميران » أي تخلف بالشام فاقتصرا في التعريف به على جعله من الطائفة وقال السخاويّ انه ابن زين الدين كما تقدم ورأيت له ترجمة في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر جاء فيها أنه ابن بنت الشيخ عديّ ونصها :

« أميران عز الدين الكردى بن بنت الشيخ عديّ قدم الشام فولّي بها الامرة وكان قومه يأتون اليه من كلّ فجّ ويتقربون اليه بالاموال ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك الناصر من كان منهم بالقرافة وكتب الى

تنكز بكشف أحوالهم فأرسل الى عزّ الدين المذكور فسأله عنهم فقال يريدون أن ينفردوا بالمملكة فقال وما السبب فقال هذا شيء تخيلوه في نفوسهم فقال لِمَ لا تمنعهم فقال هم يعتقدون فيّ وفي جميع أهل بيتي ولكن حظي في القلعة يتقلل جمعهم ففعل فتفرقوا وصاروا بعد ذلك يجيئون الى البرج الذي هو فيه محبوس فيستنجدون له وكان حبسه سنة ٧٣١ وكان حسن الشكل تامّ القدّ صبيح الوجه » انتهى . قلنا والذي ذكره السخاوي في تحفة الأحباب وغيره من المؤرخين أنّ الشيخ عديّ بن مسافر كان أعزب وأنّ المرويّ عند طائفته « أنه سأل الله تعالى أن يجعل ذريته في أخيه صخر بن مسافر فاستجاب الله دعاءه » فكيف يتفق مع هذا أن يكون عز الدين ابن بنته . والظاهر أن في نسخة الدرر الكامنة التي وقفنا عليها تحريفاً بأن يكون قوله « بن بنت الشيخ عدىّ » محرّفاً عن « من بيت الشيخ عدىّ » ولا سيما أن لفظ (ابن) ورد بالنسخة مرسوماً بغير الف ويسهل تحريفه عن لفظ (من) والله أعلم

ولعلّ القارىء الكريم قد استشعر معنا من أخبار هؤلاء الزعماء أنّ هذه الطائفة الصوفية أخذت تتحوّل في بعض العصور الى عصابة ثورية نزّاعة الى الملك ولولا ما صُودمت به من الملوك والامراء لكان لها شأن غير الذي كان . والظاهر أنهم كانوا يستميلون الى عقيدتهم بعض عظماء الدولة للاستعانة بهم على ما ربهم وردّ المكروه عنهم فقد ذكر ابن الجزريّ [1] في تاريخه عن الامير بدر الدين بكتوت الأقرعيّ المتوفى بدمشق سنة ٦٩٤ أنه كان ممن ينتمون اليهم وحكى عنه ظلماً وجبروتاً واعجاباً بالنفس مع تعفّف عن أموال الناس وبيت المال وذكر أنه

---

(١) هو محمد بن ابراهيم بن الجزري المتوفى سنة ٧٣٩ كما في الدرر الكامنة وعندنا من تاريخه جزء مصور بالشمس فيه من سنة ٦٨٩ الى سنة ٦٩٩ . وللامير بكتوت المذكور ترجمة في المنهل الصافي لابن تغري بردى واخرى مختصرة في تاريخ ابن الفرات ليس فيها تعرض لانتمائه الى هذه الطائفة

كان متولياً شدّ الشام زمن الملك الظاهر (بيبرس) وعزل ثم تولى شدّ الصحبة في الدولة المنصورية [1] الى أن قال « وكان ينتمي الى أصحاب الشيخ عديّ وانتفع به العدوية رحمه الله وإيانا » . ونذكر أننا وقفنا أثناء المطالعات على بعض من كانوا ينتمون اليهم أو ينتصرون لهم ولكن فاتنا تقييدهم .

(١) اي دولة المنصور قلاوون كما في المنهل الصافي

استطراد لذكر الزاوية

العدوية

(ولنرجع) الى الشيخ زين الدين وبقية أخباره فنقول: إن الزاوية التي دفن بها بالقرافة الصغرى كانت تعرف بزاوية عديّ بن مسافر [١] وبالزاوية العدوية ثم عرفت بالزاوية القادرية لسكنى جماعة من ذرية سيدي عبد القادر الجيليّ بها وتوليهم شؤونها والنظر على أوقافها وتعرف الآن عند العامة بجامع سيدي عليّ. وقد ذكرها المقريزي في خططه باسم الزاوية العدوية وقال إنها بالقرافة تنسب الى الشيخ عدي بن مسافر ولم يتكلم عليها وانما ذكر ترجمة الشيخ عدي وخبر زين الدين وعزّ الدين أميران. وذكرها السخاوي في الضوء اللامع عرضاً في ترجمة بدر الدين حسن بن محمد بن عبد القادر القادري فقال « كان أسنّ الجماعة المقيمين بزاوية عدي بن مسافر خارج باب القرافة الصغرى المشهورة الآن بزاوية القادرية » وذكرها أيضاً باختصار في عدة مواضع من هذا الكتاب سيأتي بيانها. وذكرها علي مبارك باشا في خططه باسم (جامع القادرية) غير أنه جعلها « داخل باب القرافة بالقرب من مسجد السيدة عائشة النبوية رضي الله عنها » وهو وهم بيّنٌ سببه السهو فيما يظهر. ولم تزل هذه الزاوية باقية الى الآن خارج باب القرافة عن يمين السالك منه في شارع القادرية المسمى باسمها والموصل الى قرافة الامام الشافعي

(١) تقدم في ترجمة الشيخ عدي انه مدفون بالهكارية من بلاد الموصل وانما نسبت هذه الزاوية اليه لنزول قريبه زين الدين وطائفة من اتباعه بها وقد صرح بذلك السخاوي في كلامه على تربة زين الدين المذكور في تحفة الاحباب فقال « ان الشيخ عدي بن مسافر لم يكن بمصر ولا بالقرافة بل هذه الذرية من اولاد اخيه صخر والشيخ عدي يعرف بالاعزب »

رضي الله عنه وبها أربعة ايوانات في ثلاثة منها قبور سيأتي الكلام عليها و بالركن الجنوبي الغربي قبة بها ضريح الشيخ زين الدين يوسف المذكور والعامة تسميه بسيدي (عُلَيّ) بالتصغير والظاهر أنه محرّف عن (عديّ) بن مسافر فان بعض المتقدمين كان يعتقد أن هـذا الضريح ضريحه بسبب نسبة الزاوية قديماً اليه . وسماه علي مبارك باشا في خططه (عُلَيًا القادري) تبعاً للعامة لأنهم ينعتونه بهذه النسبة على توهم أن الزاوية سميت بالقادرية نسبة اليه وكان على علي باشا أن يبين خطأهم في ذلك تمييزاً للصحيح من المزاعم من غير الصحيح . وتلقبه العامة أيضاً بقاضي الحقيقة وتقيم له مولداً كل سنة في شعبان وكانت تقيم له (حضرة) كل أسبوع ثم أبطلت الآن . وقد رممت لجنة حفظ الآثار العربية هذه الزاوية وأعادت الباقي منها الى ما كان عليه وكان في شرقيها مصلى ومئذنة وأماكن أخرى ملحقة بها زالت الآن ولم يبق منها غير باب قديم بقي منفصلا عن البناء مطلا على شارع القادرية وبينه وبين الزاوية ساحة كانت بها هـذه الأماكن وقد أحيط الجميع بسور قصير حديث البناء عليه درابزين من الحديد

وهذا مصوّرها نقلناه من مجموعة هذه اللجنة بعد أن رقمنا أماكنها بأرقام لبيانها :

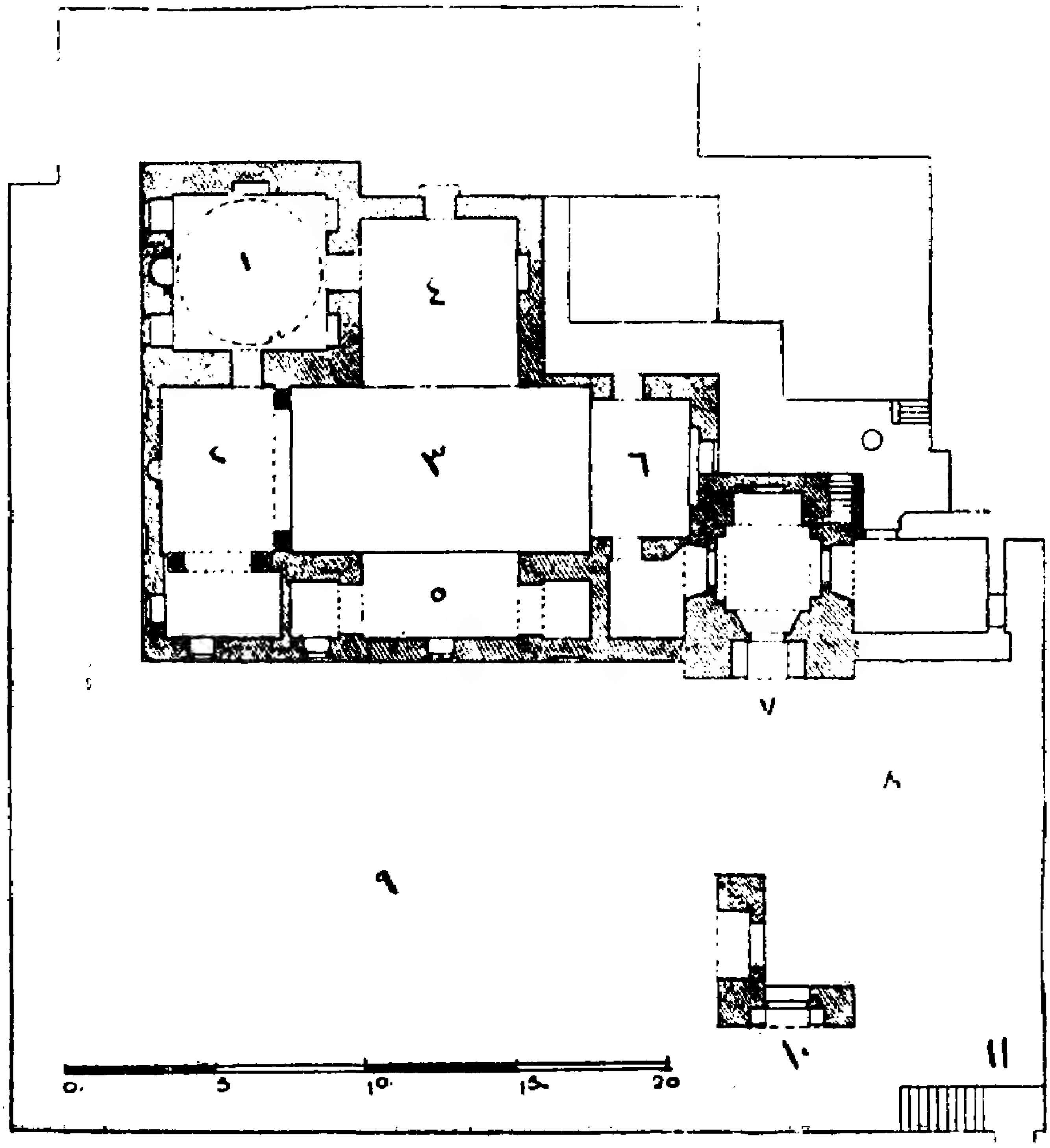

وهذا ايضاح ما تدل عليه هذه الأرقام :

« ١ » القبة وبابها من الايوان الجنوبي ويحيط بهذا الباب من الخارج في وجهته وعضادتيه اطار من الرخام منقوش بآيات كريمة وفي جانبيه تحت العتب عن يمين الداخل منقوش « لا اله الا الله محمد رسول الله . لا اله الا الله سيدي عدي ولى الله » وعن يساره « سيدي عدي الوسيلة الى الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم » وبعض كلمات أخرى ذهبت من كلا الجانبين وفوق

هذا الباب من خارجه لوح منقوش فيه بالحفر « بسم الله الرحمن الرحيم . والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم . هذا مقام السيد الامام القدوة شيخ شيوخ الاسلام شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة فريد عصره شرفت بأقدامه مصر أوحد شيوخ المسلمين زين الدين يوسف بن الشيخ محمد بن الحسن بن الشيخ عديّ ابن أبو البركات بن صخر بن مسافر الأموي نفع الله ببركاته المسلمين وذلك في ربيع الاول سنة خمس وعشرين وسبعمائة »[1] . وبحائط القبة من الأسفل افريز بديع من قطع الرخام الملوّن وبوسطها الضريح وعليه تابوت من الخشب مكسوّ بستر أخضر مطرز بالحمرة والبياض ومكتوب عليه بالتطريز الأبيض « مقام سيدي عُلَى ابن عبد القادر الكيلاني » على ما هو معروف به عند العامة وبأعلى القبة من الداخل طراز به كتابة بالقلم الجليّ تتعذر قراءتها لارتفاعها . وكان على الضريح تابوت تاريخيّ من الخشب المصدّف بديع النقش منقوش به نسب الشيخ وتاريخ وفاته احترق في الحريق الذى وقع بالقبة سنة ١٣٢٥ ولكن كان من حسنات الأستاذ يوسف أحمد[2] على الآثار أنه نقل هذه الكتابة قبل الحريق وهذا نصها « هذا ضريح السيد الامام العالم العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين الحسن بن السيد الامام الشيخ شرف الدين عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى ابن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم الاموي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه

---

(١) هو تاريخ عمارة القبة الذى ذكره السخاوي في تحفة الاحباب بقوله : وبناء هذه التربة والقبة التي على ضريحه من اعاجيب البناء ووافق الفراغ من العمارة في ربيع الاول سنة خمس عشرة وسبعمائة . ولا ريب في انه تحريف في نسخة تحفة الاحباب التي بايدينا فانها كثيرة الاغلاط والصواب « سنة خمس وعشرين وسبعمائة » كما نقش على الباب وهو تاريخ عمارة بالقبة لاتاريخ بنائها فانها بنيت سنة وفاة الشيخ زين الدين أي سنة ٦٩٧ كما سيأتي منقولا عن المنقوش على باب الزاوية .

(٢) هو البحاثة المحقق أحد المراقبين بلجنة حفظ الآثار العربية بمصر وله تآليف تشهد له بالدقة وسعة الاطلاع

انتقل الى رحمة الله يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول سنة سبع وتسعين [و] ستمئة

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يامولاي أوفا[1] وأزيد
وماهي ذنوبي ان أخاف وأنت لي آلهاً[2] ولي يوم الشفاعة أحمد »

انتهى . ولهذه القبة نافذتان فى الحائط الجنوبيّ نقش على احداهما من الخارج البيت الاول من هذين البيتين وعلى الثانية البيت الثاني ولكن برسم (أوفى) بالياء و (آله) بالرفع

« ٢ » الايوان الجنوبي وبه قبلة وقبر يقع شرقي باب القبة قيل لنا انه قبر السيد محمد الواقف لقّب بذلك لوقفه أوقافاً على الزاوية على مايزعمون والغالب على الظن أنه القبر الذي قال عنه السخاوي في تحفة الأحباب في كلامه على تربة زين الدين المذكور « وبهذه التربة قبر بايوان شرقي باب القبة به الشيخ الصالح العارف بهاء الدين أبوالفتح محمد بن أحمد العدوي أحد خلفاء الشيخ الصالح زين الدين أبي المحاسن يوسف توفي في ثالث عشري ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة »

« ٣ » صحن الزاوية الذي بين الايوانات وهو غير مسقوف

« ٤ » الايوان الغربي وبه قبران أحدهما قيل لنا انه قبر الشيخ حسنين القمري والثاني قديم عليه تابوت من خشب منقوش فيه اسم المدفون به وتاريخ وفاته وهو أحد القادرية وسيأتي الكلام عليه

« ٥ » الايوان الشرقي وبه قبران قيل لنا إن أحدهما قبرالشيخ عليّ القشلان وإنه دفن فيه من نحو خمس وأربعين سنة

« ٦ » الايوان الشماليّ وليس به شيء . وبدائر هذه الايوانات الأربعة على

(١) كذا بالالف في آخره (٢) كذا بالنصب

ارتفاع قامة سورة يس مكتوبة بالجص بحروف بارزة في سطر عريض به نقوش غاية في الابداع غير أنها غير تامة

« ٧ » باب الزاوية وعلى وجهته لوح من الرخام مكتوب فيه بالحفر نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته وبناء القبة وهذا نص ما فيه على ما قرأه الاستاذ يوسف احمد « أنشأ هذه القبة المباركة على ضريح السيد الامام العالم العارف المحقق امام الموحدين تاج العارفين زين العابدين أبي الشمائل الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الامام العالم العارف القدوة شرف الاسلام غوث الانام الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الامام العالم العارف شيخ الحقيقة ناصر السنّة قامع البدعة ..... أبي محمد شمس الدين الشيخ حسن ابن السيد الامام العالم العارف علم الأبرار غوث العباد تاج الزهّاد شيخ شيوخ الاسلام أبي الحسن شرف الدين عدي ابن السيد الامام العالم العارف الشيخ أبي البركات ابن صخر ابن مسافر ابن اسماعيل ابن موسى ابن مروان ابن الحسن ابن مروان ابن الحكم الأموي القرشي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه وكان انتقاله الى دار الخلود وجوار الملك الودود فى ثاني ساعة من نهار يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول سنة سبع وتسعين وستمائة. ومما أنشده في حال عبوره :

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها   وعفوك يامولاي أوفى وأزيد
وماهي ذنوبي أن أخاف وأنت لي   آله ولي يوم الشفاعة احمد

وكان فراغ القبة في شهر شوال سنة سبع وتسعين وستمائة » انتهى

« ٨ » جزء من الساحة كان به المصلى وبشماليه كانت المئذنة

« ٩ » جزء من الساحة كان به الميضأة والبئر وبيوت الخلاء

« ١٠ » الباب المنفصل عن الزاوية الآن وهو مطل على شارع القادرية وبأعلى وجهته لوح من الرخام به نسب الشيخ زين الدين يوسف صاحب الضريح

ولكن به بعض اختلاف في الاسماء القديمة مع ايصاله بعد مروان الى يزيد بن معاوية وبه اختلاف أيضاً في تاريخ الوفاة بيوم واحد فانها فيه يوم الاثنين رابع عشر ربيع الاول سنة ٦٩٧ وفيه بعد ذلك أن الابتداء في هذا الباب كان سنة ٧٣٦ والظاهر أن هذا الباب وما كان متصلا به من الاماكن زيادات حادثة أضيفت الى الزاوية بعد بنائها وما وقع من الاختلاف في النسب المنقوش عليه فالظاهر أنه من تخليط بعض من كان يذهب الى اتصال نسب الشيخ بيزيد . والله أعلم

«١١» سلم حديث ينزل منه الى الزاوية وساحتها لانها أصبحت منحدرة عن أرض الطريق

«١٢» شارع القادرية وهو شرقي الزاوية يفصلها عنه جزء من السور القصير الحديث الذي عليه الدرابزين

ثم اعلم أن جماعة القادرية الذين نزحوا الى مصر ونزلوا بهذه الزاوية وتولوا شؤونها والنظر على أوقافها كان من عادتهم دفن موتاهم فيها كما رأيناه في تراجم من وقفنا على تراجمهم منهم . وتلك القبور التى بالايوانات ليست إلا من بقايا قبورهم ولكنها جهلت بذهاب ما كان مكتوباً عليها أو باشتهارها بمن دفن من غيرهم فيها ولم يبق من قبورهم معروفاً إلا قبر واحد وهو أحد القبرين اللذين بالايوان الغربي فان الشمالي منهما مشهور بالشيخ حسنين العمري والله أعلم بصحته والجنوبي عليه تابوت من الخشب مكتوب عليه بالحفر ما نصه مع المحافظة على رسم الكلمات « توفا العبد الفقير الى الله تعالى السيد محمد بن الشيخ علي بن الشيخ حسين بن السيد شمس الدين محمد بن الشيخ حسام الدين شرشيق بن الشيخ عبد العزيز بن السيد الحسيب النسيب . . . . الفرد الحاج محيي الدين عبد القادر الكيلاني الحسنى توفا ليلة السبت سنة أربع وأربعين وثمانمائة » هكذا رأيته

منقوشاً على التابوت وفي الدرر الكامنة في ترجمة محمد بن شرشيق زيادة (محمد) بين شرشيق وعبد العزيز

ولم يذكر السخاويّ في تحفة الأحباب أسماء من دفن من القادريّة بهذه الزاوية وانما أشار اليهم بقوله « وبها قبور السادة الأشراف من أولاد علم الأولياء الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلانيّ نفع الله تعالى ببركتهم » ولكنه ذكر ذلك في تراجم من ترجمهم منهم بالضوء اللامع وقد استطعنا معرفة ستة منهم وهم :

(الأوّل) محمد بن عليّ بن حسين بن محمد الأكحل بن شرشيق القادري قال إنه توفي بالطاعون سنة ٨٤٠ ودفن بزاوية عديّ بن مسافر بالقرب من باب القرافة . ويظهر من اسمه ونسبه أنه صاحب القبر الباقي معروفاً من قبورهم بالايوان الغربي لولا الاختلاف في الوفاة بين سنة ٨٤٠ و ٨٤٤ فليحقق . وأما جدّه محمد ابن شرشيق فله ترجمة في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر جاء بها أنه ولد سنة ٦٥١ وحدّث بدمشق وبغداد والحيال (بالحاء المهملة والياء آخر الحروف بلدة بسنجار) وتوفي سنة ٧٣٩ ولم يذكر أنه قدم الى مصر فالظاهر أن أوّل القادمين اليها أحد أولاده أو حفدته . ثمّ قال الحافظ وأولاده الحسام عبد العزيز والبدر حسن والعزّ حسين والظهير احمد ولكنه لم يترجم لأحد منهم . وله ترجمة في المنهل الصافي لابن تغري بردي قال فيها إن له أيضاً أولاداً آخرين

(الثاني) ابنه موسى بن محمد بن عليّ بن حسين بن محمد بن شرشيق قال إنه توفي بالطاعون سنة ٨٤١ بعد أبيه بيسير جداً ودفن بزاوية عديّ بن مسافر بالقرب من باب القرافة

(الثالث) ابن هذا زين العابدين محمد بن موسى بن محمد بن عليّ شيخ الطائفة القادرية قال إنه مات سنة ٨٥٥ بعد تعلّل مدّة طويلة وصُلي عليه بمصلى المؤمني في محفل شهده أمير المؤمنين لصداقة كانت بينهما ثمّ رجعوا به الى زاوية

عديّ بن مسافر محلّ سكناه من باب القرافة فدفن عند أبيه وجدّه . وذكر بعده أخاه شمس الدين محمد بن موسى بن محمد وقال إنه استقرّ بعده شيخاً شركة لابن عمهما ومات سنة ٨٨٨ ولكنه لم يذكر أنه دفن معهم بهذه الزاوية

(الرابع) حسن بن محمد بن عبد القادر بن عليّ بن محمد الأكحل بن شرشيق القادرىّ قال عنه كان أسنّ الجماعة المقيمين بهذه الزاوية وتوفي سنة ٨٦٧ ودفن بها

(الخامس) أخوه عليّ بن محمد بن عبد القادر شيخ القادرية قال إنه توفي سنة ٨٥٣ ودفن بمحلّ سكنه بالتربة المعروفة بعديّ بن مسافر من القرافة الصغرى . وترجمه أيضاً في وَفَيات هذه السنة من التبر المسبوك وقال إنه دفن بهذه التربة وكانت محلّ سكنه

(السادس) ابن هذا عبد القادر بن عليّ بن محمد بن عبد القادر بن عليّ بن محمد بن شرشيق قال إنه توفي سنة ٨٧٩ ودفن بزاوية عديّ بن مسافر محلّ سكن بني عمّه من القرافة

هؤلاء من استطعنا معرفتهم وقد يكون ذكر غيرهم ففاتنا تقييدهم . وقد بقي نظر هذه الزاوية بيد هذه السلالة الى عهد قريب حتى شرعت لجنة حفظ الآثار العربية في ترميمها بعد الحريق الذي وقع بالقبة فأضيف نظرها الى ديوان الأوقاف وبالزاوية الآن عجوز من الصالحات تزعم أنها من بقايا هؤلاء القادريين تقوم بخدمتها وتنظيفها هي وابنها وهو المقيد بهذه الخدمة في ديوان الأوقاف ويسكنان في دُوَيْرة ملحقة بالزاوية

وقد أطلنا بهذا الاستطراد حيث لم نجد بداً من الاطالة لأنا لم نر من حقق أمر هذه الزاوية بمثل هذا التفصيل

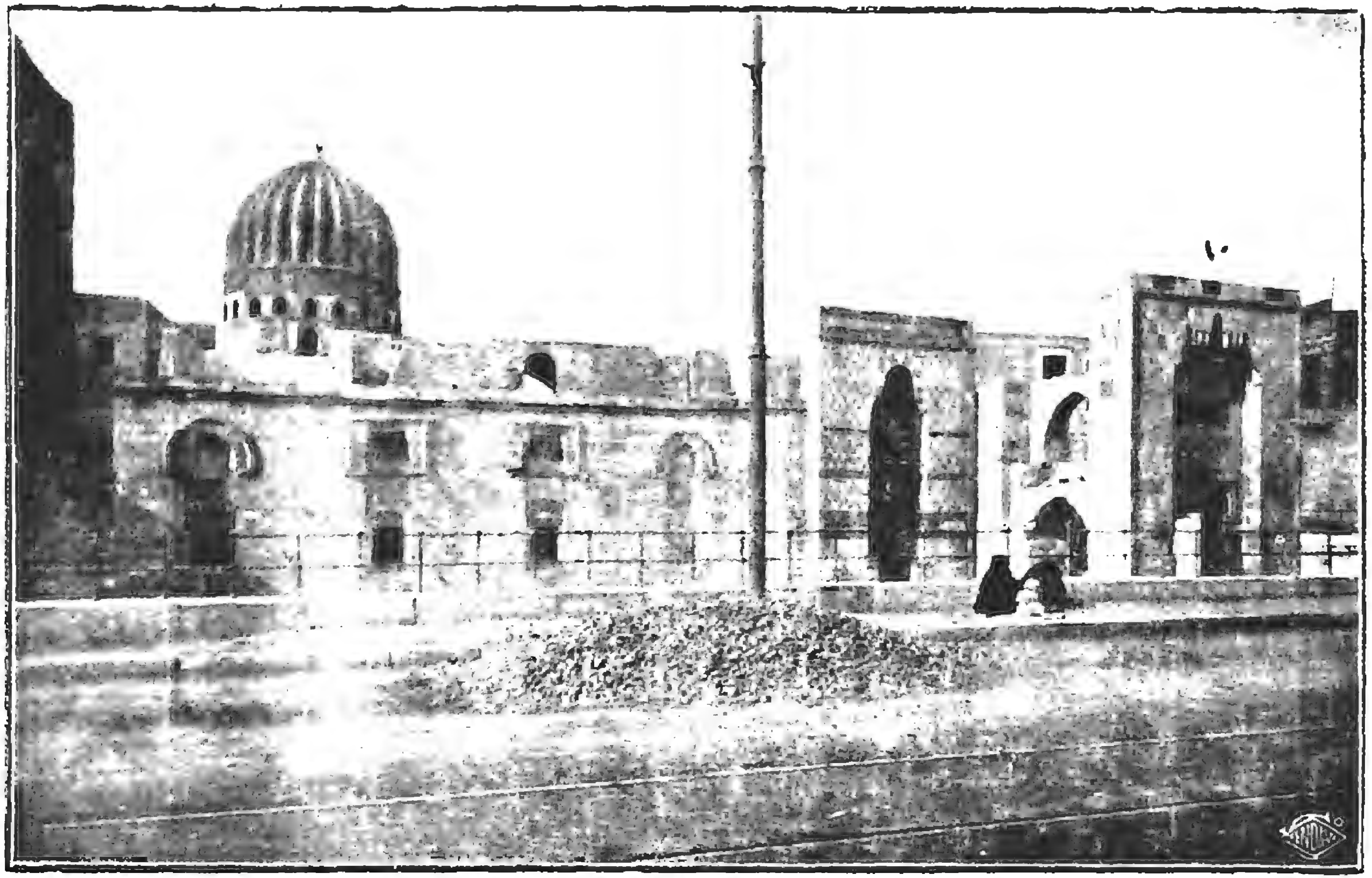

صورة الزاوية بعد الترميم والباب الذي عليه الرقم (١٠) هو الباب المنفصل عن البناء

فصل

في جماعة آخرين من آل عديّ بن مسافر

عثرنا عليهم مفرّقين في كتب التراجم وليس لأكثرهم علاقة بهذه النحلة ولكنا آثرنا ذكر ملخص تراجمهم توفية لأخبار هذه الأسرة وللاعلام بأن بعض أفرادها لم يكن يمتّ اليها إلا بصلة النسب لا المعتقد

(أولهم) أحمد بن رجب بن محمد بن عثمان بن جميل بن محمد بن احمد بن عثمان ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن عديّ بن مسافر . هكذا ساق نسبه السخاويّ في الضوء اللامع في ترجمة ولده ابراهيم وقوله « ابن عدي بن مسافر » خطأ إما ممن نقل عنه هذا النسب أو من ناسخ نسخة الضوء والصواب أن أبا البركات « ابن أخي عديّ بن مسافر » واسم أبيه صخر بن مسافر كما تقدّم . وكان احمد هذا من البقاع ثمّ سكن دمشق ومات في فتنة التتار سنة ٨٠٣

(الثاني) ابنه ابراهيم بن احمد بن رجب ويعرف بابن الزهريّ لكونه سبط الشهاب الزهريّ بل يجتمع معه في (أحمد بن عثمان) أحد الجدود ولد سنة ٧٧٧ واشتغل قليلا وولّي قضاء صيدا وكتابة سرّ صفد وقضاءها وغير ذلك ومات سنة ٨٤٠ وكان جيّد العقل ولم يكن به عيب أعظم من قلّة العلم . كذا في الضوء اللامع

(الثالث) ابن هذا احمد بن ابراهيم بن احمد بن رجب ويعرف أيضاً بابن الزهريّ ولد سنة ٨٠٦ ببقاع العزيز وانتقل مع والده الى دمشق فنشأ بها وأخذ عن كثيرين ثمّ سافر الى القاهرة وناب فى القضاء بها وباشر القضاء فى عدّة أماكن كالرملة وحماة وطرابلس وغزّة وحلب فلم تحمد سيرته ومات سنة ٨٧٨ بلا عقب . عن الضوء اللامع أيضاً

(الرابع) الشهاب الزهريّ جدّ ابراهيم بن احمد بن رجب لأمه وقد تقدّم قول السخاويّ أنه يجتمع معه أيضاً فى (احمد بن عثمان) وعثمان هذا هو ابن سعادة بن عيسى بن موسى بن أبي البركات بن صخر بن مسافر . ولم يترجمه السخاويّ فى الضوء وانما ترجم أحد المشهورين بالشهاب ابن الزهريّ وهو احمد بن عبد الوهاب ابن احمد واقتصر فى سلسلة نسبه على هذه الاسماء وقال إنه مات سنة ٨٣٣ ويبعد على هذا أن يكون جدًّا لابراهيم بن احمد . وفى الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ترجمة لاحمد بن صالح بن احمد بن خطّاب البقاعيّ شهاب الدين المعروف بالزهري المتوفى بدمشق سنة ٧٩٥ فيحتمل أن يكون اياه

(الخامس) أحمد بن محمود بن عبد السلام بن محمود خطيب صَرَفَنْد العدويّ من ذرّية أبي البركات بن صخر بن مسافر البقاعيّ البَيْتفاريّ نسبة الى بيت فار قرية الشيخ عديّ بالبقاع . ترجمه البقاعيّ في كتابيه عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران ومختصره عنوان العنوان فذكر أنه ولد سنة ٧٨٢ وتوفّي بدمشق سنة ٨٦٨ وساق بعض أخباره وأسماء من أخذ عنهم . وله ترجمة في الضوء اللامع للسخاويّ أيضاً

(السادس) ابنه محمد بن أحمد بن محمود بن عبد السلام العدويّ الدمشقيّ ترجمه السخاويّ في الضوء وقال ولد سنة ستّ أو سبع وثماني مائة وكان من وجوه الناس وأعيانهم ونظم الشعر وولّي نظر قلعة دمشق مدّة ثمّ أعرض عنها بل عرض عليه غيرها فأبى ومات سنة ٨٧٤

وليس في أخبار هؤلاء الستة ما يشعر بنزوع الى نزعة صوفية حميدة أوغير حميدة فالظاهر انهم كانوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها

(السابع) شمس الدين محمد بن موسى بن محمد العدويّ نسبة الى آل عديّ بن مسافر من قبل جدّه لامه وكان من علماء القرن العاشر . ترجمه ابن طولون في

ذخائر القصر فذكر أنه كان أحد العدول القاطنين بمحلة الجسر الابيض من صالحية دمشق ثمّ قال « لبس مني خرقة التصوّف العدوية وقلت له لبستها عن جماعة من فضلاء عصري ونبهاء دهري » وساق سلسلة هذه الخرقة الى الشيخ عديّ بن مسافر ثمّ ذكر مَنْ قبله الى النبي ﷺ كعادة أصحاب الطرق في أسانيدهم . قلنا ويعلم من انتماء مثل ابن طولون الى هذه الطريقة أنها حُفظت عند بعض الصوفية صافيةً خاليةً مما أصابها من طائفة الشيخ عديّ حتى بعدوا بها عنه بل وعن الاسلام

وبعد فلنعد الى ما قصدناه من بيان منشإ هذه النحلة وتكوين هذه الطائفة بعد أن أتينا على ما استطعنا الوصول اليه من أخبار الشيخ عديّ وأخبار آله

فصل

في منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لايخفى أنّ الغالب في كثير من النحل والمذاهب أن يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها امّا بالابتداع فيها أو بتغيير النصوص أو بتأويلها على حسب ما توحيه الآراء وتزينه الأهواء. والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحسّ وتتناولها الأيدي باللمس. غير أنّ التغيير يختلف قلّةً وكثرة تبعاً لاميال المهيمنين على المذهب وأغراضهم واستعداد نفوس متّبعيهم. وهو دين ما طرأ على مذهب اليزيديّة فانّهم لم يكونوا في مبدإ أمرهم سوى طائفة من الصوفيّة لهم طريق خاصّ كالحال في سائر طوائف القوم غير أنّهم غلَوا في شيخهم غلوًّا تجاوز الحدّ وأدّى الى قولهم فيه بما لايوافق شرعاً ولاعقلاً ثمّ قام فيهم رؤساء السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة فتوسّعوا في مذهبهم وأدخلوا فيه ما اقتضته مصلحتهم ووافق أهواءهم وما زالوا ينقصون منه ويزيدون فيه قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملةً

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس حتّى اشتهر الشيخ عديّ بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع به الناس فقصدوه من الأطراف للاسترشاد ثمّ انتقل الى جبال هكّار موطن الأكراد فتبعه منهم خلق كثير اتّخذ منهم المريدين وأحدث الطريقة العدويّة كما مرّ بك في أخباره. ولم يكن على شيء مريب في طريقته والاّ لما أثنى عليه كلّ الذين كتبوا عنه وحسبنا أنّ الامام أحمد بن تيميّة المشهور بتشدّده لم يذكره الاّ بالخير في رسالة له سيأتي شيء منها. وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موته في رئاسة الشيخ حسن

عليهم أو قبله بقليل وقد تقدّم أنّه كان لايهتمّ الاّ بحفظ ناموسه مع انطوائه على منكرات أخذها عليه الذهبي وغيره . ولمّا فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب اليهم الامام ابن تيميّة الرسالة العَدَويّة التي أشرنا اليها وهي طويلة بدأها على النصح والارشاد الى طريق السنة والحضّ على التمسك بها وتعرّض فيها لما كانوا عليه في زمنه فحذّرهم من البدع والغلوّ في المشايخ كما غلوا في الشيخ عديّ. ومن قوله في هذا الصدد « وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عديّ وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عديّ الكبير قدّس الله روحه فانّ طريقته كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً وجرت فتن لايحبّها الله ولا رسوله »

فيتضح من هذا ومما تقدّمه أصل منشإ هذه الطائفة وانها كانت تسمّى في أوّل الأمر بالعدَوية نسبةً الى شيخها أما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها والظاهر أنها حدثت في القرون الأخيرة ولعلّ موالاة البحث تكشف عنها فيما بعد

فصل

في منشأ اعتقادهم في يزيد

ولي يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثمّ وقعت في زمنه كوائن كقتل الامام الحسين عليه السلام والعدوان على أهل المدينة ونقلت عنه أمور من الاستهانة بالدين والاستهتار بالشراب أكثرت فيه القال والقيل وتسبّب عن ذلك تشعّب الآراء فيه فذهبت الشيعة فيه مذهباً معروفاً وافترق أهل السنة فمنهم من غالى في بغضه وأجاز لعنه ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظنّ وكان من هؤلاء الشيخ عديّ بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناه يقول فيها « وانّ يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونُقل عنه العلم الشريف والحديث وانه بريء مما طعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين رضي الله عنه وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيه » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد فانهم تولَّوه أوّلاً تبعاً لرأي شيخهم ثمّ جروا فيه على ما جروا عليه من الغلوّ في غيره فجعلوه وليّاً ثمّ نبيّاً وما زالوا به حتى اتخذوه آلهاً من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والأوهام

وقد تعرض لذلك الامام ابن تيمية في الرسالة المدونة ولم يكونوا بلغوا به في زمنه غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم أنه كان من الانبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عديّ أنه كان كذا وكذا وليّاً وقفوا على النار لقولهم في يزيد » وقد أطال في هذا الموضوع

وبيّن افتراق الناس فيه بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيه من المغالاة حتى جعله بعضهم كافراً زنديقاً والبعض من أئمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر أنّ منشأ الاعتقاد بصلاحه كراهة بعض أهل السنة للعنه فظنّ قوم ممّن يتسنّن أنّ ذلك بُني على صلاحه فاعتقدوه . ثمّ بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتباع الاولى وهو الاقتصار فيه على أن لا يُسبّ ولا يُحبّ

فصل

في منشإ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عديّ ما يخالف الاصول المعروفة في عقائد أهل السنة والجاعة وقد تصفحناها فلم نشمّ منها رائحة رأي في الشيطان يُخرّج اعتقاد اليزيدية عليه بل رأيناه فيها بالعكس يكثر من لعنه وينحي على من يزعم أنّ الخير من الله تعالى والشرّ من ابليس وعلى من تغالوْا فقالوا ارادة ابليس فوق ارادته تعالى . فترى من هذا أن مذهبهم في الشيطان غير مبنيّ على قول لشيخهم كما بُني مذهبهم في يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون ومضادّون لرأيه فيه ولم يشر الامام ابن تيمية في الرسالة العدوية الى شيء من ذلك فالظاهر أنهم جنحوا الى هذا الرأي بعد زمنه ولعلّه نشأ من أحد من تولّى زعامتهم من المشايخ واليك ما ظهر لنا في ذلك :

قد تقدّم أنّ اليزيدية لم يكونوا إلا طائفة من الصوفية ثمّ صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة . ولا يخفى أن لغلاة الصوفية من الآراء الشاذّة والكلمات الموهمة ما لا

يحتمل ظاهره ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلوّ أو الشطح أو غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا الخوض فيها . وقد أشار أبو حفص عمر بن محمد السُهْروردي في عوارف المعارف عند كلامه على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر أن ما يُفتح به على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعده وغروره وحماقته وأنه لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام الى آخر ما قال

ومن تلك الآراء ما ذهب اليه بعضهم من التعصّب لابليس وتبرير عمله في عدم السجود لآدم عليه السلام بل نُسب هذا القول لبعض كبارهم ومنه ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال :

« وكان أبو الفتح احمد بن محمد الغزاليّ الواعظ أخو أبي حامد محمد بن محمد الغزاليّ الفقيه الشافعيّ قاصاً لطيفاً وواعظاً مفوّهاً وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظه مسلكاً منكراً لأنه كان يتعصّب لابليس ويقول إنه سيّد الموحّدين . وقال يوماً على المنبر من لم يتعلّم التوحيد من ابليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيّده فأبى

ولست بضارع إلا اليكم وأمّا غيركم حاشا وكلا

وقال مرّة أخرى لمّا قال له موسى أرني فقال لن فقال هذا شغلك تصطفي آدم ثمّ تسوّد وجهه وتخرجه من الجنّة وتدعوني الى الطور ثمّ تشمت بي الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء . وقال مرّة أخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن أظافر القضاء اذا حكّت أدمت وأنّ قسي القدر اذا رمت أصمت . ثمّ قال لسان آدم ينشد في قصّته وقصّة ابليس :

وكنت ولَيْلَى في صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتُّ وزلّتِ

وقال مرّة أخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس

لمَ لَمْ تسجد لآدم عليه السلام فقال كلا ما كنت أسجد لبشر كيف أوحّده ثمّ ألتفتُ الى غيره ولكنك أنت ياموسى سألت رؤيته ثم نظرت الى الجبل فأنه أصدق منك في التوحيد . وكان هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير » الى أن قال « وهذا نوع تعرفه الصوفيّة بالغلوّ والشطح ويروى عن أبي يزيد البسطامي منه كثير » انتهى (١)

بل قد اشتطّ بعض المتكلمين كالنظّام فزعموا أنه تعالى لا يقدر على شيء من الشرّ وأنّ ابليس يقدر على الخير والشرّ ذكر ذلك ابن الجوزيّ في كتابه تلبيس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد في الشيطان عند اليزيدية والراجح أنّ أحد شيوخهم أولع به فشاع بينهم وزادوا فيه ما زادوه

أما تسميتهم له بطاووس ملك وقولهم في (مصحف رش) أي الكتاب الأسود « أوّل يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد وخلق فيه ملكاً اسمه عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع » فله أصل أيضاً وهو ما يروى في قصص الأنبياء وبعض التفاسير من أن ابليس كان يسمّى في السماء السابعة بعزازئيل وأنه كان مجتهداً في العبادة حتى لم يترك من السماوات والأرضين موضع شبر إلا سجد فيه فسمّي لذلك طاووس الملائكة وأنه كان سيّد الكرّوبيّين والروحانيين ورئيس خزنة الجنة

النتيجة

فتبين مما تقدّم أن تكوين هذه الطائفة كان على يد الشيخ عديّ بن مسافر في القرن السادس وأنّها سميت بالعدويّه نسبة اليه ثم تسمت بعد ذلك باليزيدية وان منشأ اعتقادهم في يزيد بن معاوية من شيخهم هذا فلا صلة لهم بيزيد بن أبي

(١) نقل سبط ابن الجوزي عن أبي الفتح أحمد الغزالي أمثال هذه الاقوال في مرآة الزمان عند ذكر وفاته سنة ٥٢٠ ثم حكى عن جده الامام ابن الجوزي تعجبه من هذا الهذيان وكيف نفق في بغداد وهي دار العلم

أنيسة ولا بنحلته كما توهمه بعض الباحثين . وان طريقتهم تقلّبت بعد ذلك في أطوار فبدأ فيها الانحراف في زمن الشيخ حسن بن عديّ بن أبي البركات ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرنا بعد قرن حتى وصلت الى ماهي عليه الآن . ولعلّ فيما ذكرناه ما يزيل الالتباس ويوضح الغموض الذي تكتنف هذه النحلة الغريبة ومنتحليها فترك الناس في عمياء من أمرهم حقباً طويلة . والله أعلم

فهرس

صفحة

٣ المقدّمة

٤ فصل في التعريف باليزيدية

٦ فصل في ملخص عقيدتهم

١٠ فصل في يزيد الذي ينتسبون اليه

١٢ فصل في الشيخ عاديّ

١٨ فصل في الشيخ حسن

٢٢ فصل في شرف الدين

٢٤ فصل في زين الدين وعزّ الدين

٢٩ استطراد لذكر الزاوية العدويّة

٣٩ فصل في جماعة آخرين من آل عديّ بن مسافر

٤٢ فصل في منشإ نحلتهم وتكوين طائفتهم

٤٤ فصل في منشإ اعتقادهم في يزيد

٤٥ فصل في منشإ اعتقادهم في الشيطان

٤٧ النتيجة

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY